



المتابعون.. رصيد افتراضي يسبب خلا اجتماعيا

تطور التكنولوجيا والشبكات الاجتماعية يقدم نظاما مشوها لتقييم البشر



شبكات معقدة



وظيفة ثابتة ومصدر للرزق

مساحة أكبر من أوقات فراغهم، اختلت قيمة الشخص الحقيقية، وباتت الأرقام الافتراضية انعكاسا للمكانة والجودة. ويحذر الخبراء من تلك النقطة وتأثيراتها السلبية لأن اختلال ميزان القيمة يعني عزوف الناس عن العمل الدؤوب وبذل الجهود وغياب الدافع إلى التعلم والدراسة والتطور لأجل تقديم ما يضيء على حياة الناس قيمة نوعية. ومع سهولة الحصول على القيم المزيّفة من مواقع التواصل الاجتماعي وتغير معيار الجودة والنجاح والرتباطة بمعادلات افتراضية تحمل الكثير من الصدفة والتوجيه، تصبح مسألة البحث والتطوير عديمة الجدوى.

علماء النفس يضعون الظواهر الاجتماعية الجديدة ضمن اضطراب الشخصية التمثيلي أو متلازمة التحول شبه المستيري، فالجميع باتوا يلجأون إلى المبالغة أو الزيف لمجرد لفت الانتباه

وتؤكد التطورات المتعاقبة أن النزعة الاستهلاكية تزداد في العصر الحالي مقابل تراجع النزعة الإنتاجية، وهو ما قد يسبب خلا اجتماعيا وإضعافا للروابط الأساسية للفهم والتأقلم مع الحياة. وقد المسلسل الأمريكي- البريطاني الشهير "بلاك ميرور" (المرأة السوداء) الذي يُعرض على نتفليكس حاليا، توفعت صامدة، أبرزها أن تصبح الحياة بالكامل قائمة على التقييم الافتراضي على مواقع التواصل الاجتماعي التي يتبادل الناس شؤونهم وهمومهم عليها. وتعطي تلك التقييمات في النهاية النقاط التي تحدد هوية الشخص أمام العالم دون النظر إلى قيمته الحقيقية على المستوى العلمي والشخصي ومهاراته وقدراته الفردية.



في سبيل صورة جميلة

على المواقع الإلكترونية، والتريكين الشخصي في التصوير والكتابة والمشاركة، يرتفع الشعور الحاد بالذات، ما يجعل البعض يصل إلى إحساس زائف بالمجد وتبني نبرة تحقيق إنجاز كبير. وربطت الدراسة بين تطور وظهور خصائص جديدة على مواقع التواصل الاجتماعي عززت تعبير الشخص عن نفسه ويومه، مثل خاصية القصة على فيسبوك وإنستغرام، إذ يقوم الشخص من خلالها بمشاركة الآخرين صورا ومقاطع تعمل بشكل أشبه بشرط الأخبار في المحطات التلفزيونية عبر فكرة زيادة شرارة الشخص للظهور الإعلامي.

مقاهي المنصات

لم تتوقف المسألة عند قياس الشخص بعد متابعية ومدى تقييمهم وتفاعلهم، إنما تطورت لتشمل جودة ودرجة هؤلاء المتابعين؛ فبعض الشركات الكبرى اختارت أصحاب الأعداد المليونية من المعجبين على صفحات التواصل الاجتماعي ليكونوا وجهة إعلانية لمنتجاتهم، إلا أنها اشترطت في اختيارها أن يكون هؤلاء من طبقات اجتماعية واقتصادية معينة، تحديدا من شريحة الأغنياء المستهدفة. توسعت الظاهرة حول العالم، ووصلت إلى البعض من الدول العربية أيضا، ليتحول الأصدقاء على فيسبوك إلى شيء أقرب إلى جواز سفر يساعد صاحبه على المرور إلى أماكن عامة مثل المقاهي والمتاجر والملاهي الليلية الفارهة.

تقول ليلي منصور، فتاة عشرينية، لـ "العرب" "تعرفت لموقف مرشح مع أسرتي عندما منعنا من دخول مقهى بحي المعادي الراقي في جنوب القاهرة، لأن أحد رجال الأمن الخاص طالبني بفتح قائمة الأصدقاء على فيسبوك لإجراء بحث عشوائي في هوية الأصدقاء وتحديد المستوى الاجتماعي". وتابعت "المشكلة الحقيقية أنه رفض السماح

فتحت مواقع التواصل الاجتماعي بابا جديدا لتحويلات مجتمعية غير مسبوقة. وبرز مؤخرا اهتمام كبير بعدد الأصدقاء والمتابعين للحسابات الشخصية على الشبكات الاجتماعية الافتراضية كقيمة تضيف معنى وأهمية على أصحابها، وهو ما دفع الكثير من رواد الإنترنت إلى العمل بكل جهد لجمع رصيد كبير من المتابعين والأصدقاء الافتراضيين، حتى تحول الأفراد إلى مجرد أرقام في منظومة طويلة لا تنتهي.

التواصل الاجتماعي، وما أضافته التكنولوجيا من تطورات مثيرة للحياة الافتراضية، ظهرت أنماط اجتماعية مؤثرة في الواقع تقاس بعدد الأصدقاء والمتابعين على الشبكات الافتراضية، وسرعان ما بات الأمر مدعاة للفخر والتباهي وإبرازه على أساس أنه نجاح لا يقل قيمة عن الحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه من جامعة مرموقة.

لم تتوقف القضية عند الإنهيار بالأرقام، لكن في سنوات قليلة تحولت إلى منافسة شرسة فالكلمة يمني نفسه بالحصول على علامات إعجاب وتعليقات متابعيه، وإن وصل الأمر إلى نشر صور ومقاطع فيديو ليست من عادات صاحب الحساب بل بهدف نيل رضاه المعجبين فقط.

يستحق الموضوع بذل مجهود ضخم، والجلوس لساعات وأيام يفكر الفرد في كيفية إثارة المتابعين والأصدقاء الافتراضيين، فتجاوز الأمر مجرد إرضاء الغرور الشخصي أو الاستمتاع بالشهرة والنجاح، لتكتسب هذه الظاهرة ثقلا يجلب عوائد مادية. أصبح حجم المتابعين على موقع التواصل الاجتماعي أكثر تأثيرا من مجرد توظيفه لأغراض دعائية أو تجارية أو الحصول على تخفيض أو هدايا، ومع مرور الوقت ظهرت تأثيرات مرعبة للشبكات التواصل الاجتماعي على عالم السياسة، مثل إطلاق شرارة الشورات والاحتجاجات والتظاهرات، وظهرت أيضا انعكاسات اقتصادية بتحرك أسهم البورصات العالمية، وتأثيرات اجتماعية بتغيير أساليب العيش وطبيعة العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة.

مع كل ذلك، هناك تحول مفير، ظل محصورا في يد مجموعة قليلة ممن أصبحوا يعرفون باسم "المؤثرين" على مواقع التواصل الاجتماعي، وهم أشخاص نجحوا في جذب الملايين من المتابعات لصفحاتهم وحساباتهم الشخصية على الشبكات الافتراضية. وأفضل التطور الجديد في التعامل مع الحسابات الشخصية والصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى أن تصبح علامات التقييم والإعجاب رصيда للكثير من القواعد.

يقول محمود عبدربه، وهو شاب مصري صاحب قناة على موقع "يوتيوب" يتابعها مئة ألف شخص، إن إنتاج مقاطع مصورة ونشرها على الإنترنت ليسا رفاهية أو مجرد حب للظهور، كما يروج لهما البعض، بل وظيفة ثابتة ومصدر للرزق. يقوم عبدربه منذ ثلاثة أعوام بتصوير وإنتاج مقاطع مصورة ساخرة عن أسرته. وبعد زواجه تخصص مع زوجته في إنتاج فيديوهات عن الصراعات الزوجية، وأحيانا

أوصح عبدربه، في تصريحات لـ "العرب"، أن يوتيوب يعطي بين 10 و50 دولارا على كل ألف مشاهدة بحسب الموضوع ودرجة التفاعل وقوة حساب صاحب المقطع.

وتابع "بالنسبة إلي موقع المقاطع الشهير (يوتيوب)، هو بمثابة رب عمل أو صاحب شركة،

محمود زكي
كاتب مصري

انتظر إبراهيم عبدالصمد ثلاثة أشهر حتى نهاية نوفمبر لاستفادة من تخفيضات يوم "الجمعة السوداء". كان يمني نفسه بتخفيض ضخم على جهاز التلفزيون الذكي باهظ الثمن، الذي طالما حلم به وهو يمر بجوار أحد المتاجر الشهيرة كل يوم أثناء نهبه إلى المكتب. وفي اليوم المنتظر، عاد خائب الأمل بعد أن اصطدم بسؤال غير متوقع عن عدد الأصدقاء في حسابه على فيسبوك. ورفضت موظفة المبيعات تفعيل التخفيض على التلفزيون عندما أبلغها عبدالصمد بأن حسابه الشخصي على فيسبوك يجمع حوالي 500 صديق، بدعوى أن العرض منوط فقط لمن لديهم أكثر من أربعة آلاف صديق على الموقع الاجتماعي.

لم تكن حالة إبراهيم نادرة أو استثنائية، لكنها باتت واقعا جديدا يعكس ما أحدثته التكنولوجيا بشكل عام ومنصات التواصل الاجتماعي بشكل خاص من تغيرات اجتماعية واقتصادية كبيرة يراها البعض مريبة.

وباتت المسألة باختصار تقاس بحجم وقيمة الإنسان على الإنترنت، ومدى تأثيره على الشبكات الاجتماعية بشكل خاص. كل فرد الآن أضحي يمتلك رصيدا افتراضيا موازيا لحسابه البنكي، لكن لا يقاس بما يمتلكه من مدخرات مالية بل بما يمتلكه من عدد أصدقاء على فيسبوك أو متابعين على تويتر أو معجبين على إنستغرام، والأهم عدد المشاهدين على يوتيوب.

رصيـد هام

أصبح الحساب الشخصي لكل فرد على مواقع التواصل الاجتماعي انعكاسا لقيمة الشخص، فيما المتصفون على الإنترنت أرقام وأعداد تشبه العملات النقدية. وكلما زاد عدد المتابعين امتلك صاحب الحساب قيمة أعلى، ومميزات أكبر تستطيع أن تعود عليه بفوائد كثيرة من بينها المكاسب المادية كتخفيض ضخم في متجر، وكل ما هو مطلوب نشر صورة مع المنتج على شبكات التواصل الاجتماعي مع "هاشتاغ" يحمل اسم البائع أو المنتج.

وبعد عام 2010، ومع التوسع غير المسبوق لمواقع

